كذلك ، بينما كانت الجماهير تموت وتقاتل وتتمزق من أجلها .
ووقفوا بعد هذا كله ، يتكلمون بحنق الاساتذة الذين لم تسمع كلمتهم ، بينما ظلت الحركة التاريخية تعيش صراعاتها وانفجاراتها .
واذا كان هؤلاء قد هزموا وسقطوا ، فان طرف المعادلة الاخر : فلسطين طريق الوحدة قد سقط ايضا ، وها هي الوقائع تثبت سقوطه .
القضية الثانية هي قضية المنظور التاريخي للصراع ، ويقوم هذا المنظور في رأي الياس وياسين وغيرهما على ان الصراع بيننا وبين العدو ينفاقم ، ولذلك لا خطر من التصفية .
واذا ما حدثت اتفاقيات فانها ستمزق . ومع ان هذه ليست نقطة الخلاف الرئيسية فاننا سنناقشها .
واول ما نقوله في هذا المجال هو ان التاريخ لا يحدد اتجاهه بتوقعات غير قائمة على تحليل ، ولا بشواهد مقتطفة من هنا وهناك ، والذي يسمح لنفسه بالحديث عن المنظور التاريخي للصراع لا بد من ان يدرس الظواهر والوقائع دراسة نفاذة وواعية ، وهذا ما لم يحدث .
ولكن الذي يخيفنا الان في الواقع ، ليس « التصفية التاريخية » بمعنى ان تضيع فلسطين نهائيا ، كما ان الذي يشغلنا ليس تحرير فلسطين بعد خمسين او سبعين سنة . ونحن لسنا « قدريين » لنقنع انفسنا بأن القضية لن تصفى وان البلاد ستعود يوما . لان الثوري لا يكون « قدريا » ، وفهم « المنظور التاريخي » وسيلة لتغيير الواقع ، وللاسراع بعملية التغيير ، لا لترك الواقع يسير سيره المتعرج البطيء . واذا كانت الحتمية التاريخية تؤكد ان الاشتراكية ستخلف الرأسمالية ، فلماذا لم يقل ماركس للعمال عموما ، ولجماعات من العمال انتفضت هنا وهناك ، رويدكم ، رويدكم ، لا تتعجلوا ، ولا تخافوا ، النصر لكم في النهاية ، بعد سنة ، اثنتين ، عشر ، عشرين ، مائة ؟ ولماذا لم يقل ماركس لمناضلي كومونة باريس ، الذين دخلوا المعركة رغم تحذيره ، لا تقاتلوا ، واقبلوا بتنازلات تيير ، لان الالزاس واللورين ستعود سنة ١٩١٨ ؟ ولماذا اعتبر نضالهم الفاشل بطولة ، واعتبر انتفاضهم على المهانة القومية والاستغلال الطبقي درسا خالدا ؟
نريد من الذين يتحدثون باسم ماركس ولينين أن يقراوهما جيدا .
ان مشروع التصفية الذي خافته المقاومة ، وحسبت له الف حساب ، وكانت معها في تخوفها كل القوى الطليعية والمناضلة ، وكل الجماهير العربية هو مشروع التصفية الراهن ، مشروع سحق قوى المقاومة والقوى الوطنية واحلال سلام مع دولة الاحتلال .
ولقد طاردت المقاومة مشروع « الحل الاستسلامي » ، لان هدفه الاساسي كان ، كما كشفته الاهرام وغيرها من الصحف العربية والعالمية في حينه ، سحق المقاومة .
ولقد دفعت المقاومة والامة العربية ثمنا غاليا لمشروع الحل الاستسلامي . واهم ما دفعت زعزعة قوى المقاومة وسقوط مواقعها في الاردن ، وبدء بروز اصوات الخنوع والاستسلام .
ولعل مصر تعرف الان ، وهي ترى الاردن يتجه بخطى حثيثة نحو الصلح المنفرد ، وترى بعض الوجهاء والعملاء يطرحون حلا فلسطينيا ، أهمية ما خسرته هي بالذات نتيجة مؤامرة سحق المقاومة . وستدرك اذا ما تجددت الاشتباكات مع قوى الاحتلال ماذا خسرت .
وهناك اعتراف رسمي بأن الولايات المتحدة مارست دورا تضليليا . ولعل من الواضح الان ان المقاومة اضطرت الى خوض المعارك الدموية ، لانها رفضت ان تقع في شراك التضليل .
ويبدو ان الذين يحاربون المقاومة بأسم مصر ، ودفاعا عنها ، ويشجبون الحرب الشعبية ، لا يعرفون ان المقاومة اقامت أوثق العلاقات مع مصر ، قبل الموافقة على